تفجيرات الرياض والرسالة الخطيرة !

16-11-2003

والأهم من ذلك أننا لم نجد مناقشة موضوعية عميقة لوسائل العلاج وأدواته، فهل الحل الأمني واعتقال المئات من الشباب- وما يرتبط بالاعتقال من مشهد الإهانة والتعذيب والابتزاز- بتهمة التورط في المشاركة بالاعتداء سينهي المشكلة ويقطع أصل الداء؟، أم أن المشكلة أعمق من ذلك بكثير ومرتبطة بأزمة حقيقية

بقلم محمد سليمان

يبدو أن التعامل العربي مع إدارة الصراع السياسي الداخلي وما يرتبط به من مشاكل وقضايا سياسية ما زال يدور في سياق الرؤية الأمنية الأحادية الجانب، وقد أثبتت تفجيرات الرياض الأخيرة عقم الحل الأمني وعجزه عن بتر جذور الداء، وإن تمكن لبعض الوقت في عدة دول عربية وإسلامية من "تسكين العنف" من خلال الاعتقالات والمطاردات والقتل والسجن والمحاكمات.

وإذا كانت أغلب المقالات والتحليلات التي نشرت بشكل واسع في الصحف العربية قد أدانت التفجيرات، واعتبرت الأحداث عدمية وتصب في مصلحة الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، وتؤكد فرضية الأمريكان بأن التشدد الإسلامي لا يفرق بين صغير وكبير أو بين امرأة ورجل وبين مدني وعسكري. وتصف التفجيرات الأخيرة بأنها تعبر عن حالة هستيرية غوغائية لا تجد سندا شرعيا أو أخلاقيا متينا يبررها أو يفسرها – ونحن نتفق معهم في ذلك-، إلاّ أنّ هذه التحليلات ابتعدت تماما عن مناقشة التفجيرات وغيرها من أحداث العنف في إطار الأسباب والشروط التي تنتجها والمسؤولية الجماعية عنها، والبناء النفسي والفكري لمنفذيها.

والأهم من ذلك أننا لم نجد مناقشة موضوعية عميقة لوسائل العلاج وأدواته، فهل الحل الأمني واعتقال المئات من الشباب- وما يرتبط بالاعتقال من مشهد الإهانة والتعذيب والابتزاز- بتهمة التورط في المشاركة بالاعتداء سينهي المشكلة ويقطع أصل الداء؟، أم أن المشكلة أعمق من ذلك بكثير ومرتبطة بأزمة حقيقية وجوهرية وتصورات وإدراكات معرفية خاطئة حول الدين والمجتمع والدولة.

إن هناك كثيرا من الرسائل الخطيرة التي يمكن أن نلتقطها من تفجيرات الرياض الأخيرة، تقف وراءها العديد من الأزمات التي يعيشها الإنسان العربي على مختلف المستويات : سياسيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا ..

ماوراء التفجيرات بلا شك أزمات سياسية : أزمة الشرعية، أزمة المشاركة والشورى ، أزمة حرية التعبير والمعارضة، أزمة تداول السلطة، أزمة الفساد السياسي، أزمة الجمود السياسي، أزمة التبعية وغياب الاستقلال.

وهناك أزمات فكرية : أزمة التشدد الديني والرؤية القاصرة للدين والعالم، أزمة الانفلات الفكري والتهافت على فضلات الفكر الغربي، أزمة الجمود وغياب أفق العقل المسدد والمؤيد، أزمة غياب مجتمع المعرفة والتواصل العميق مع المجتمع المعاصر، كما وضح ذلك تقرير التنمية الإنسانية الأخير.

وهناك أزمات اقتصادية : وتتمثل في جوهرها بالتبعية الصناعية والاقتصادية ، وغياب الانتاج ، والخضوع للنظام الدولي الجديد بلا أية أسلحة حمائية على الرغم من الإمكانيات الاقتصادية الكبيرة ، وأزمة الإهدار الخطير للثروات على أيد أصحاب السلطة والحكم في العالم العربي .

وهناك أزمات اجتماعية : ولعل عبارة محمد الانصاري "إن

الإنسان العربي عاجز حتى عن إدارة حياته اليومية" تلخص هذه الأزمة بكلمات معدودة ولكنها مؤلمة وتصل إلى عمق المشكلة الاجتماعية العربية المعاصرة.
إذن هناك رسائل واضحة جلية أرسلتها تفجيرات الرياض تقبع وراءها أزمات كبيرة لا بد من قراءتها والنظر إلى الموضوع من كافة جوانبه .
إلاّ أن أخطر هذه الرسائل في اعتقادي : أننا ما زلنا ندور في ذات الحلقة منذ عقود طويلة وما زلنا نعيش نفس الأزمات والقضايا دون القدرة على الخروج إلى أفق جديد في التعامل مع مشاكلنا، ما زلنا نتحدث عن دوامة العنف، وعن أزمة الشرعية والمشاركة، وأزمة التبعية الاقتصادية، وأزمة الهوية والخيارات الاجتماعية ، وكأن العالم قد وقف عندنا ريثما نحل مشاكلنا، إلاّ أن العالم على النقيض من ذلك يسير، ويسير بسرعة كبيرة جدا ونحن ما زلنا في حالة تيه حضاري حقيقي، والفجوة تتسع بيننا وبين التصالح مع العصر الذي نعيش فيه .
أيها السادة : إن مئات المعتقلين في السعودية واليمن والمغرب والأردن وسوريا، وآلاف المعتقلين في تونس ومصر والعديد من الدول العربية والإسلامية الأخرى، وطاقات الشباب المهدرة، والأزمات الكبيرة التي يعيشها الشباب وتغرق فيها المجتمعات العربية كلها تؤكد أن دوامة العنف لن تنتهي بمجرد الإدانة والبراءة والتنديد بالعمليات، أو الاعتقال والتعذيب والسجن، وإنما تستدعي وقفة مراجعة حقيقية ، ونقد موضوعي للذات ، ومواجهة الأطراف المختلفة بمسؤولياتهم عن هذه الأزمات، وفي مقدمة ذلك أجهزة السلطة الفاسدة وحركات المعارضة القاصرة، والمثقفون والعلماء والكتاب، الذين كان يفترض فيهم

قبل إدانة عنف العاجز الضعيف إدانة عنف السلطات المتجبرة الطاغية وإدانة فسادها الذي أنتج هذا العنف!.